ماضى

الكتاب من تاليف أنجلو بسكي وهو جيلوجي ايطالي اشتغل في الثمانية عشر سنة الماضية بالارتحال في افريقيا وفي الشرق الأوسط ، والكتاب مطبوع في عام ١٩٧٤ وعنوانه

Jiddah, Portrait of An Arabian City:
by Angelo Pesce, Falcon Press, 1974.

والجزء الثاني عنوانه « جدة في أدب الجغرافيا العربية في العصور الكاسيكية » والمؤلف يحصي فيه من ذكر جدة بين الرحالة العرب بدءا بابن خرداذبة في كتابه « المسالك والممالك » ثم اليعقوبي في كتاب « البلدان » ثم الهمداني في « صفة جزيرة العرب » وفيه ذكرها عدة مرات ، ثم أبو زيد البلخي في « تقويم البلدان » والاصطخري في « صفة الارض » وابن حوقل في « صورة الارض » والمقدسي في « أوضح التقاسيم لمعرفة الأقاليم » والادريسي في « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » وياقوت في «معجم البلدان» .

وخصص المؤلف الجزء الثالث لمذكرات الرحالة والمستكشفين عنها ابتداء من القرن الحادي عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي بدءا من ناصري خسرو في « سفرنامه » عام ١٠٥٠ م ثم ابن جبير ، ثم ابن بطوطة .

الاستاذ : محمد كمال جمعة

جـــدة

والكتاب سبعة أجزاء الجزء الاول فيه بعنوان « غرب بلاد العرب في التاريخ » وقد تعرض فيه المؤلف لجمع اللبان في جنوب بلاد العـــرب ، وللصيد علــــى شواطــيء البحــر الاحمر في القـــرن السادس عشر الميلادي .

أما أول أوربي زارهـــا فكـــان نيكولو دي كونتي Nicolo de Conti الذي كان قد تعلم العربية ووصل جدة عـــام ١٤٣٨ م . ثـــم لودوفيكو دي فارتما الايطالي ثم بيرودي كوفيلها Pero de Covilhá ثم ايطالي ثالث هو أندريا كورسالي Andrea Corsali وقد زاروها في القرن السادس عشر .

أما في القرن السابـــع عشر فقد زارها المغربـــي العياشي والانجليزي الذي اعتنق الاسلام : جوزيف بيتس .

وفي القرن الثامن عشر زارهـــا الطبيب الفرنسي شارل جـــاك بونست Charles Jaques Poncet والكشميري المسلم خوجة عبد الكريم في طريقه للحج . وبعد انتشار القهوة في أوربا بعثت حكومـــة الدنمرك كارستن نيبهر Carsten Neibuhr في رحلـــة استكشاف في اليمن ورست سفينة البعثة

في جدة في اكتوبر ١٧٦٢ ، وكتب نيبهر مذكرات هامة ، ثم جاءها الاسكندري جيمس بروس المشتغل بالاركيوجي ووصفها بأنها كانت غير صحية • كما جاءها الكابتن شارلي نيولاند ثم توقف فيها هنري روك Herry Rooke وكان كل منهما في رحلة في البحر الاحمر •

وفي القرن التاسع عشر جاءها جيمس هوسبرج James Hosburgh في رحلة وكتب كتابا فيه توجيهات للملاحة حدد فيه الموقع الدقيق لجدة ، ونصح فيه الملاحين بالاستفادة من خبرات ملاح وطني أثناء دخولها •

وجاءها جورج أنسلي George Annesley وفي كتابه عن رحلاته الى الهند وغيرها كتب فصلين عن جدة (١) •

أما دومنجو باديارلي لبلش Domingo Badiay Leblish فهو اسباني أتقن اللغة العربية وتسمى بعلي بك العباسي ، وقد خرج في رحلة حج الى مكة فوصل جدة في يناير ١٨٠٧ م والبعض يعتقد أنه كان جاسوسا في خدمة نابليون ، ووصف جدة (٢) بأنها كانت بلدة جميلة شوارعها منتظمة ومنازلها لطيفة مبنية من الحجر ترتفع الى طابقين أو ثلاثة ، وكل منها له عدد من الشبابيك وأسطح مسطحة • ثم زارها مرتين العالم الالماني المسلم في طريقه الى الحج أولريش جاسبر سيتزن Ulrish Jasper Seetzen ثم الايطالي المسلم جيوفاني فيناتي Giovanni Finati الذي اشترك في حملة طومسون بك ضد الدولة السعودية الاولى عام ١٨١١ •

ثم زارها الرحالة والصحفي جيمس سيلك بكنجهام James Silk Buckingham أما الرحالة السويسري المشهور جوهان لوديفيج بوركهاردت Johann Ludivig Burkhardt الذي كان قد درس العربية والطب وغيرهما فقد رسى في جدة في يوليو ١٨١٤ ، وقابل بوركهاردت محمد علي باشا والي مصر في مدينة الطائف وتلقى موافقته على ذهابه الى مكة للحج ووصفها هي والمدينة المنورة وجدة وينبع وصفا مفصلا وبخاصة كتابته عن جدة وقد ترك كتابين أحدهما عنوانه « مذكرات عن البدو وعن الوهابيين » والآخر عنوانه « رحلات في بلاد العرب » (٢) ، وقد خصص المؤلف الجزء السابع من كتابه للملاحق ومن الملحق الرابع مقتطفات مما كتبه بوركهاردت

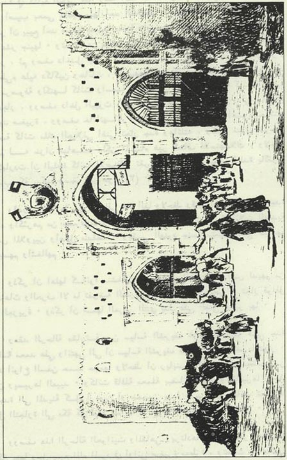

أحد أبواب أسوار جدة القديمة ، وكان يدعى باب مكة ، وكان ينفتح على الجانب الشرقي من الأسوار ويرى هنا كما كان يشاهد من خارج الأسوار .

عن جدة في كتابه الثاني هذا ومنه أنه بعد دخوله جدة في ١٥ يوليو ٨١٤ بأيام أصيب بحمى عالجه منها أحد الحلاقين ، ويحكي عن أزمته المالية حتى اضطر أن يبيع أحد عبيده بمبلغ ثمانية وأربعين جنيها وكان قد اشتراه بمبلغ ستة عشر جنيها . وتحدث عن موقع جدة وأسوارها غير القوية ووصف أبواب السور ، ثم وصف داخل جدة وكان بالقرب من البحر شارع طويل مواز للشاطىء عليه دكاكين وخانات ، ووصفها بأنها كانت حسنة البناء وشوارعها غير مرصوفة ولكنها كانت واسعة ، والمنازل العالية فيها كانت مبنية بالاحجار ، ووصف داخل البيوت ، ووصف مسجديها الكبيرين والى جانبهما مساجد صغيرة ، ووصف خاناتها ، وميادينها ، ولاحظ أن أحسن مساكنها الخاصة كانت ملك الجيلاني أغنى تجار جدة وعائلته ، وكل منزل متوسط الحجم له خزان مياهه ولكن الماء غير كاف للاستهلاك ، ولاحظ بوركهاردت أن البلدة كانت للاصدقاء تقريبا . ووصف سوق البلدة بالقرب من باب مكة ، كما وصف قبر حواء (٣) .

وقدر سكانها ما بين ١٢ الى ١٥ ألفا ولاحظ وقتها أن معظم سكان جدة غرباء وأكثرهم من حضرموت واليمن ، وكان بها مئات من العائلات الهندية وبعض الملاويين وأهل مسقط . وبقي الهنود جنسا متميزا في طباعهم وملابسهم وأشغالهم .

وذكر أن أهلها كانوا منشغلين تماما في التجارة وليس لديهم من الصناعات والحرف الا ما تفرضه الضرورة وهم اما تجار بحر أو تجار قوافل عبر الجزيرة . وذكر أن اسمها العربي الذي يدل على الغنى جدير بها .

وعقد الرحالة مقارنة بين سياسة الشريف غالب السابقة في جدة وسياسة محمد علي وانتهى الى أن سياسة الشريف غالب كانت أرحم بالتجار . وعدد أنواع السفن حسب حجمها ولاحظ أن ربابنة السفن كان معظمهم من اليمن ويسيرها العبيد . وكانت قافلة محملة ببضائع الهند وعقاقيرها ترحل من جدة الى المدينة كل أربعين أو خمسين يوما على حين كانت تغادرها قوافل التجارة الى مكة كل ليلة تقريبا أو مرتين أسبوعيا على الأقل .

ووصف هذا الرحالة الحوانيت والمقاهي ويرتادها رجال البحر وبالقرب من كل منها رجل يبيع الماء المبرد في أواني صغيرة معطرة ، وتحدث عن بائعي

المأكولات ووصف الفواكه وأعجب بالسفرجل بصفة خاصة وبالبطيخ ٠ ووصف الخضروات ولاحظ أن العرب كانوا لا يستهلكون الا قدرا ضئيلا منها وأطباقهم مصنوعة أساسا من اللحم والأرز والدقيق والزبد ٠ وعدد الرحالة أصناف التمر في السوق وأصناف الحلوى ومنها البقلاوة والكنافة والمغربية وذكر أن الحجاز كان يعتمد على مصر في القمح وكان محمد علي يحصل على أردب القمح من صعيد مصر باثني عشر قرشا ويبيعه في جدة بثلاثين قرشا ٠ وقد لاحظ أن أهل الحجاز العاديين لم يكونوا يستخدمون الحنطة الا قليلا وخبزهم أساسا مصنوع من الذرة أو الشعير وهو أرخص أو يعيشون على الأرز والزبد ، ولاحظ أن أهل الحجاز كانوا يفضلون الأرز الهندي على الأرز المصري لأن حبة الأرز الهندي كانت أكبر وأطول ٠

وللرحالة ملاحظات أخرى كثيرة غير هذه لا نستطيع ايرادها كلها في هذا الحيز ٠ أما جورج فورستر سادلير George Forster Sadlier فقد اجتذبته الحملة العسكرية المصرية ضد الدولة السعودية الاولى ، وكانت حكومة الهند البريطانية قد أرسلته الى الحسا للاتصال بابراهيم باشا لتنظيم العلاقات بينهما لاتمام القضاء على قوة الدولة السعودية الاولى ٠ وعندما نزل سادلير في القطيف علم بأن القوات المصرية كانت تستعد للجلاء عن الجزء الشرقي من الجزيرة العربية فلحق بأحد فرقها ، وعبر معها نجد وزار الدرعية التي كانت قد حطمت منذ قليل ، ولحق بالجيش المصري الرئيسي في الرس ، ثم قابل ابراهيم باشا بالقرب من المدينة المنورة الذي أخبره بأن أمور السياسة الخارجية كلها في يد محمد علي ٠ وهكذا لم يعد أمام سادلير سوى الرجوع الى الهند ، فوصل جدة في اكتوبر ١٨١٩ ، ووصف الفرح الذي عم جدة بمغادرة ابراهيم باشا لها في نوفمبر ، ثم غادر سادلير جدة الى بومباي ، وبالرغم من أن رحلة سادلير الرسمية قد فشلت الا أن الوصف القصير الذي أعطاه لرحلته وملاحظاته على القبائل والاماكن جعل له ذكرا نابها بين مكتشفي بلاد العرب ٠

ثم جاء الجيلوجي الالماني ادوارد ريل فقد جاء جدة وذكر أنها أحسن مدن البحر الاحمر ، ولكنه نقد حالة مياه الشرب فيها ، ووصف سكانها بأنهم كانوا طيبين يميلون الى الخدمة ثم زارها ووصفها وصفا عاما الملازم جيمس ر٠ ولستد Lieut. James. R. Welsted وحين ثارت عسير ضد الحكم

المصري أرسل محمد علـــي حملة كـان فيهـا ستة أوربيين منهـم تاميسيير Tamisier الذي كان سكرتيرا للبعثة الطبية المصاحبة للحملة ، ونزل جدة عام ١٨٣٤ ووصف أسوارها ومساجدها ومدارسها وسوقها وبيوتها وحوانيتها ومقاهيها وميادينها وميناءها وقبر حواء (٤) ورأى أنها كانت من أحسن المدن، ولاحظ نظافتها ، وخصص فصـــلا لوصف السكـان ووصفهم بأنهـم كانوا مضيافين ·

ثم زار جدة الفرنسي ت· لفبفر T. Lefebvre واسترعى انتباهه لون البيوت الابيض (٥) · ثم وصلها الكابتن أ· جالينيه A; Galinier ومعه فريه Ferret وكتب عن تجارتها كتابة قيمة جدا (٦) ·

ثم جاء روشيه هريكورت Rochet d'Hericourt الى جدة في طريقه الى الحبشة وذكر أنها كانت واحدة من موانىء الدرجـة الاولى فـي البحر الاحمر ولكنـه لاحظ ضعف أسوارها ٧) · وفي عـام ١٨٥٣ جـاء ريتشارد فرنسيس بيرتون Richard Francis Burton المكتشف الكبير الـى جدة بعد أدائه الحج تحت اسم حـاج أفاني يدعى عبدالله ولكنـه لم يسهب فـي وصفهـا (٨) ، ثـم زارهـا الفرنسي شارل ديدييـه Charles Didier وكتب في فصل خاص عن جدة أنها كانت مدينة نظيفة حسنة جديرة بدورها كميناء لمكة ، ووصف أسوارها وأبوابها وتوزيعات السكان وشبابيك البيوت الخشبية التي كانت تسمح برؤية من في الخـارج دون أن يرى من في الخارج من يكون وراءها ، ووصف الشرفات التي كان الناس يقضون فيها جزا ءمن حياتهم اليوميـة للتمتـع بنسيم البحر ، ووصف سوقهـا المكتظ بالبضائع المستوردة والمحلية ، وتحدث عن اختلاف لهجات الناس وأزيائهم حسب موطنهم الأصلي ، وتحدث عن صناعـة الحلى وخاصة الفضية منهـا لبيعها للحجاج ، وأشاد بفاعلية أهل جدة وبنشاطهم التجاري ، ولكنـه وصف حالة الماء بأنها كانت سيئـة ، والهواء الرطب الحـار في الصيف ، وتحدث عـن خانات جدة للرحالة والتجـار (٩) · وحين جـــاء المكتشف الفرنسي ستانسيلاس رسل Stansilas Russel لمواصلة اكتشاف البحر الاحمر ، وصف قبر حواء ولم يخف اعجابه بالبيوت فيها وبالشرفات الخشبية لمنازل الاغنياء (١٠) ·

ونشر عدد التايمز اللندنية في ٢٥ أغسطس ١٨٦٢ خطابا مـن جراح انجليزي اسمه هرمان بيكنـل Herman Bicknell اعتنق الاسلام ، وحج

تحت اسم « عبد الواحد » فيه تعليقات عن جدة · وقد حاول هنريش فريهر فون مالتزان Heinrich Freiherr Von Maltzan أن يصل الى مكة فتخفى في شخصية مغربي ، ونزل جدة وألف كتابا ضمنه فصلين عن جدة أحدهما عن المدينة نفسها والآخر عن تجارتها ·

ومر جون فرير كين Keahe بجدة وكتب عنها باقتضاب ، وكذلك كتب عنها شارل مونتاني دوتي Charles Montagne Doughty في كتابه الهام « رحلات في بلاد العرب الصحراوية » (١١) ·

وكتب الرحالة الفرنسي دنيس دي ريفوير Denis de Rivoyre في كتابه فقرة عن جدة (١٢) · وتوقف فيها المكتشف الالماني جيرهارد روهلفز Gerhard Rohlfs في طريقه لأثيوبيا · ثم وصلها المكتشف الفرنسي شارل هوبير Charles Huber قادما من تيماء ، وتضمنت ملاحظاته التي نشرت بضعة جداول عن تجارة ميناء جدة ·

وبعدهم جاء المستعرب الهولندي الكبير الذي اعتنق الاسلام سنوك هورجرونج Snouk Hurgronj الذي أقام في جدة خمسة أشهر في منزل القنصل الهولندي فيما بين ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ لكي يتعلم اللهجة المحلية قبل توجهه الى مكة ·

وجاء الطبيب المصري صالح صبحي مصطحبا بعض الحجاج وكتب كتابا بضعة صفحات منه عن جدة · ثم جاء المصور الفرنسي جول كلودين جرفيس كورتلمون Jules Claudin Gervais Courtellmont الى جدة ، وكان قد أسلم بنية تأليف كتاب مصور عن مكة ، ومن انطباعاته عن جدة ذكر أنها كانت مركزا تجاريا كبيرا وبيوتها حسن بناؤها بالحجارة مزينة بمشربيات جميلة الا أنه اشتكى من البعوض ، ومن الماء ، ومن الحرارة المشبعة بالرطوبة · وكان آخر من ذكرهم المؤلف في هذه القائمة الطويلة من الرحالة والمستكشفين الذين زاروا جدة ابتداء من القرن الحادي عشر الى آخر القرن التاسع عشر ، وكتبوا عنها في مذكراتهم أو كتبهم هو ت· اي· لورنس Lawrence T. E. في كتابه « أعمدة الحكمة السبعة » الذي وصف جدة بأن بيوتها كانت جميلة بصفة عامة ، وشوارعها كانت نظيفة ، ووصف سوقها ، الا أنه رأى بأن جوها مشبع بالرطوبة ·

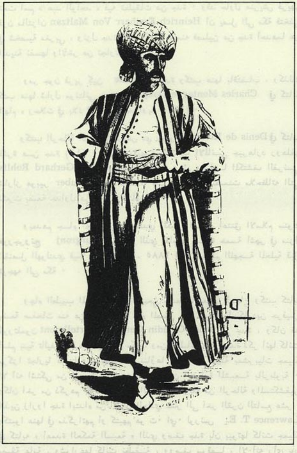

تاجر عربي من جدة ، كما يبدو في نقش يعود تاريخه الى
عام ١٨٤٤ .

الجزء الرابع : أرضية تاريخية :

يروي المؤلف أن الخليفة عثمان بن عفان هو الذي قام بنقل ميناء مكة من الشعيبة الى جدة عام ٢٦هـ / ٦٤٦م بطلب من أهل مكة أنفسهم . وحتى بعد انتقال عاصمة الخلافة من المدينة المنورة الى دمشق وبغداد ظل لمكة مقامها الديني ولهذا ظلت جدة محتفظة بأهميتها ، ولقد خرب القراصنة الأحباش جدة عام ٧٠٢ م ولكن أعيد بناء المدينة في القرن العاشر الميلادي . واستطاعت دولة المماليك في مصر ضم الحجاز رغم معارضة أشراف مكة .

وبسقوط بغداد عاصمة العباسيين من يد المغول ازدادت أهمية جدة لأن جزءا كبيرا من التجارة الشرقية التي كانت توجه الى بغداد عبر البصرة بدأت تتحول الى مصر عبر البحر الاحمر .

ومنذ عام ٤٢٦ كانت جدة قد بدأت تتعامل بشكل كبير مع موانىء الهند وبعدها أصبح أكثر من مائة سفينة آتية من الهند تزور جدة سنويا وبعضها ذو سبعة أشرع . وذلك منذ أصدر السلطان المملوكي برسباس أمره بأن تصبح جدة هي الميناء الوحيد المسموح فيه بدخول التجارة الشرقية ، ومن جدة كانت المتاجر تحمل من مراكب الى القصير ثم الى السويس حيث تحملها قوافل الجمال الى موانىء النيل حيث كانت تنقل ثانية الى القاهرة ثم الاسكندرية . وكانت مواد هذه التجارة هي البهارات والعقاقير الواردة من الهند التي كانت المراكب تعود اليها محملة بالنحاس والفضة والحرير وغيرها ومن الغرب كان يرد الى جدة العبيد من ذوي البشرة غير السمراء من شرق أوربا والأواني والملابس الصوفية والسلاح وغيرها . وكانت المنتوجات العربية الأساسية في التجارة مع الغرب هي اللبان من حضرموت وظفار والكراويه والنعناع والفلفل الاحمر والمر واللآلىء نصف الكريمة التي كانت توجد في أماكن عديدة من غرب شبه جزيرة العرب .

وفي عام ١٤٥٣ فتح الاتراك العثمانيون القسطنطينية وأغلقوا البسفور مما حال دون وصول التجارة الى مدن البحر الاسود التي كانت نهايات لطرق التجارة البرية عبر أواسط آسيا وهكذا لم يعد مفتوحا غير

طريق البحر الاحمر كطريق آمن فاستفاد كل من العرب والمماليك من احتكارهم لفوائد تجارة البهار .

ثم يتحدث المؤلف عن دخول البرتغال ميدان الكشوف وكيف وصل دي جاما في ٢٠ مايو ١٤٩٨ الى كاليكوت في الهند مرددا القول الشائع بأن البحار العربي احمد بن ماجد هو الذي دلهم على الطريق وآثر فتح طريق الكاب على الموانيء الاسلامية ، وقرر السلطان المملوكي قنصوه الغوري أن ينظم حملة بحرية ضد البرتغاليين تلبي لصيحات الاستغاثة من حكام الهند المسلمين وحكام جنوب الجزيرة العربية وشرق افريقيا . وبدأ حسين الكردي يعد العدة لتحويل جدة الى قاعدة للحرب ضد البرتغاليين . ولكن الاسطول المملوكي هزم في موقعته الثانية (ريو) وجرح فيها حسن الكردي ولكنه نجح في أن يعود الى جدة ، وجعل من نفسه حاكما للمدينة وقرر بناء سور حصين حولها واستدعى ذلك تهديم أجزاء كاملة من المدينة لاستخدام حطامها في بناء الأسوار ولم يعبأ حسن الكردي بأي معارضة حتى اكتمل الأسوار فيما بين ١٥٠٩ و ١٥١٤ .

وبعد سقوط دولة المماليك على يد العثمانيين عام ١٥١٧ م رسا الاسطول العثماني في جدة في ٢٦ يونيو ١٥٢٦ وبدأ ممارسة سوء معاملة الأهالي ، وبدأت جدة تمر في فترة من الكسوف وقلت تجارة المرور المارة بمينائها .

وقلما شهدت جدة اصلاحا في العهد العثماني الا في عهد الوزير الكبير كارا مصطفى باشا الذي تولى من ١٦٧٦ الى ١٦٨٣ وحفر قناة لحمل المياه من الآبار التي تقع شرق البلدة ، وبنى بجدة خانا جديدة به حمامات عامة جديدة وبنى بها مسجدا . وحين جاءت حملة محمد علي باشا ضد الدولة السعودية الاولى دخل طوسون جدة ، وسيطرت الحملة على الحجاز . وأثارت تقارير الخبراء من الضباط الفرنسيين الذين جاءوا مع قوات انجليزية وأخرى فرنسية في جدة حوالي عام ١٨٢٥ م .

وبفتح قناة السويس عام ١٨٦٩ ازدادت قبضة العثمانيين فوق الحجاز، اذ أصبح في الامكان ارسال القوات بسرعة بواسطة البحر ، ولكن هذا الطريق المائي الجديد قد أدى كذلك الى نمو تجاري لجدة ٠

ثم تطرق المؤلف الى ثورة الشريف حسين ضد الاتراك خلال الحرب العالمية الأولى في يونيو ١٩١٦ ، وسقطت جدة في يد الاسطول البريطاني الموالي للأشراف ، واستسلم الاتراك في جدة واصبحت في الحال مركزا لانزال الاسلحة والذخائر لجيوش الشريف حسين ٠

ثم يشير المؤلف الى الحرب بين السلطان عبد العزيز آل سعود والشريف حسين ، ويواصل سرد فتوحات السلطان عبد العزيز حتى اضطر الملك حسين الى التنازل والرحيل عن جدة ، وتولى ابنه الملك علي الذي ركز قواته في جدة ثم بدأ السعوديون حصار جدة بعد أن فتحوا مكة دون قتال ، وكانت جدة تعاني من شح الماء فلم يتعجل السلطان عبد العزيز اطلاق النيران عليها ، وسقطت جدة سلما وغادرها الملك علي ودخلها السعوديون في ٢٣ ديسمبر ١٩٢٥ ومن مكة في يناير ١٩٢٦ قبل عبد العزيز لقب ملك الحجاز ٠

ثم ينتقل المؤلف في الجزء الخامس الى جدة المعاصرة والتقدم السريع فيها من جميع مظاهر الحياة ، ثم يفرد الجزء السادس لصور ملونة هي أربع وأربعين لوحة غاية في الابداع تمثل نواحي الحياة القديمة والعصرية في جدة، وفي الجزء السابع ثمانية ملاحق أثبت فيها المؤلف بعض مقتبسات من كتابات بعض الرحالة ورجال الاعمال الذين جاءوا الى جدة وتحدثوا عن مظاهر الحياة فيها وعن تجارتها مثل تلك التي أشرنا اليها في هذا المقال نقلا عن الرحالة بوركهاردت ٠ ونتمنى ان تتوفر فرصة أخرى لعرض هذه الاجزاء من الكتاب التي تناول المؤلف في معظمها جدة المعاصرة ٠

محمد كمال جمعة

بعض المراجع التي أولاها المؤلف :

GEORGE ANNESLEY, (١)

Voyages and Travels to India, Ceylon, The Red Sea, Abyssinia and Egypt in the years 1802, 1803, 1804,1805, and 1806, London 1809.

ALI BEY, (٢)

Voyages en Afrique et en Asie, pendant les années 1803 à 1807, Prais 1814.

JOHN LEWIS BURCKHARDT, (٣)

Travels in Arabia (Translated by William Ousley, London 1829. (Reprinted in Beirut, 1972).

TAMISIER, M.O. , (٤)

Voyages en Arabie-Sejour dans le Hedjaz-Campagne d'Assir, Paris, 1840.

THÉOPILE LEFEBVRE, (٥)

Voyage en Abyssinie executé pendant les années 1839-1843, Paris [1845-1851] 1.

FERRET - GALINIER, (٦)

Voyage en Abyssinie, Paris 1847.

ROCHET D'HERICOURT, C.E.X., (٧)

Second voyage sur les deux rives et la Mer Rouge, dans le pays d'Adel et le Royeune de la Choa, Paris, 1846.

BURTON, R.F. , (٨)

A Personal Narrative of a Pilgrimage to Al-Madinah and Meccah (Memorial Edition), London, 1893.

DIDIER, C. , (٩)

Sejour chez le Grand-Cherif de la Mecque, Paris, 1857.

RUSSEL, S. , (١٠)

Une Mission en Abyssinie et dans la Mer Rouge, Paris, 1884.

CHARLES MONTAGNE DOUGHTY. , (١١)

Travels in Arabia Deserta, London, 1926.

DE RIVOYRE, D. , (١٢)

Mer Rouge et Abyssinie. Paris. 1880·

تعقيب

ومن فقه السيرة

نشرت المجلة في عددها الاول من عامها الثالث الصادر في شهر ربيع الأول ١٣٩٧ ﻫ مقالا بعنوان : « الاستراتيجية الاسلامية في غزوة الخندق والكتابة التي وجدت على جبل سلع » للأستاذ الدكتور عبد الباقي قصته ورغم احتفال المجلة بنشره فان من الحق علينا التعقيب عليه اتماما للموضوع، فقد أتانا بالسرد عن غزوة الاحزاب ولم نجد لديه الجديد عن الاستراتيجية المكان والزمان والاسباب ٠

فالحرب رجال وميدان ، أعني المكا نوزمان وأسباب، وحتى الوضع في مواجهة جيش لجيش من ناحية اشراق الشمس وغروبها الى غير ذلك ٠٠ فأراني مدعوا لهذا التوضيح وهذا التعقيب فان قريشا قد أعجزها الحصار بقطع الطريق عليها لا تصل الى الشام بعد معركة بدر الا وهي تحمل المخافة بدل أن تحمل الطعام ٠٠ كما أعجزها شح المسيرة عليها من نجد ٠٠ كما أعجزها أن تسير الى بدر الثانية كما هددت بهذا في غزوة أحد ٠٠ منعها الله أن تصل الى بدر الثانية فتناقل العرب خبر خذلانها ٠٠ يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وعد ولا تخرج قريش الى بدر الثانية ٠

بهذا نزلت الأيـة (١) « الذين قـال لهـم الناس ان النـاس قد جمعوا لكم فأخشوهم فزادهم ايمانا ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » ٠

فالهزيمة في بدر ، والحصار بعدها والنصر الذي لم يجهز على الجيش المسلم في أحد ، والخذلان عن الخروج الـى بدر الثانية دعى قريشا ألا تقاتل وحدها ٠٠ فجمعت الاحزاب نسيت الدم في حرب الفجـار فأجمعت أمرها مـع الفجار غطفان بقيادة عيينة بن حصن ، وقريش بقيادة أبـي سفيان ٠٠ كلاهما كـان مشركا ذلك الوقت حتى اذا تم النصر العظيم أسلم عيينه ثم ارتـد ثم أسلم وأسلم أبو سفيان ، وبلغ رسول الله مسير الاحزاب وهو عليه الصلاة والسلام كقائد يتمتع بنصر الله فانه لا يهمل تنظيم الجيش بشرا يحارب بشرا ، فوضع أمامه كمفهومنا للقيادة ما جرى في معركـة احد حرص فيها علـى ألا يكون داخل المدينـة بين البيوت والأسر والمنافقين واليهود لئلا يحصر ولئلا يخذل ٠٠ فخرج الى أحد ٠٠ تميز الموقع ٠٠ ظهره الى أحد وسد المساحة الكبيرة في الوادي يضع فريقا من أصحابه علـى جبل الرماة ٠٠ هذا اختيار المكان ٠

---

(١) الآية رقم ١٧٣ ، ١٧٤ من سورة آل عمران ٠

أما الزمان فاختار أحدا الـى ظهره لا يؤتي مـن الخلف وتجنب أن يكون في مشرق الشمس أو في مغربها حيث تلمع السيوف فتصيب الرجال بما يعطل اقدامهم ·· فقد قالوا أن مواجهة جيش المدينة الى جيش يزيد كـان الخطأ فيه أن وقف جيش المدينة أمام مشرق الشمس فأضرهم اماعها ولمعان السيوف بينما كـان جيش يزيد يتجه الى الغرب في ضحوة النهار فلا يضار بالشمس لكن سعة المطر في احـد وترك الرماة موقعهم قد جاء بالأثر المعاكس تنتصر به قريش نصرها الرخيص · ان هذا الوضع في أحد كـان التفكير فيه يضع الاستراتيجية الجديدة لمعركـة الاحزاب ·· فالبقاء داخل المدينة أمر لا يمكن الركون اليه فينبغي أن تكون المعركة خارجها ·

ورب سائل يقول : كيف تترك المدينـة وأبوابها وطرقاتها مفتوحة مـن كل الجوانب ، والاجابة على هذا السؤال هي :

- في أن أي جيش لا يستطيع أن يحارب المدينـة الا مـن شمالها أو شمالها الغربي · أما جنوبها وغربهـا وشرقها فسند الحرة في الشمال وفرعـا هذه الحرة قريظة وواقم تحرم الجيش ميدان القتال ·· فلا يمكن أن يتخطى الحرتين والحرة الأم من الجنوب ·· الا المنسلب من الجيش فردا أو أفرادا ويمكن القضاء عليه ·· اما أن يكون هناك مطرد ميدان قتال فليس هناك مجال ·

من هنا درس رسول اللـه صلى الله عليه وسلم وأصحابه كطبيعـة الحربي التفكير في ميدان قتال ·· فأحد صرفوا النظر عنه وبقي هذا الباب الامامي لمداخل المدينة من الشمال الغربي سلع الجبل وبطحـان الوادي والعقيق الوادي · فاختار رسول الله أن يكون سلع حصنا تكون عليه الزراري والنساء ولا ننسى شاعر النبي حسان بن ثابت ·

ليكون سلع سورا خلف رسول الله والجيش المسلم ، فبقي المطرد الواسع غرب سلع ·· وادي بطحان ووادي العقيق وبقي ألا يتكرر مـا حدث في أحـد · فانتهت مدارسة الوضع بما اقترحه سلمان الفارس حفر الخندق يمنع المشركين من العبور الى سفح سلع فالنبي في سفح الجبل والخندق السياج ·

كانت غطفان شمال المدينة على وادي قناة من خشم أحد فيما يسمى الآن بالعيون ، وكانت قريش تواجه سلعا في وسط العقيق في زغابة مجمع الأسيال بروما ٠٠ الأسيال هي قناة من الشرق ينحرف في سفح أحد الى الشمال بطحان من الجنوب يمر وسط المدينة ينحرف من سفح سلع الى أن يلقى العقيق ليلتقي هو والعقيق مع قناة يشكل بذلك وادي الحمض ٠

هذا هو المكان ٠٠ أما الزمان فكان في شهر ذي القعدة من العام الخامس الهجري الموافق شهر ابريل عام ٦٢٧ م ، وكان رغم الربيع فقد سخر الله الصبا تهب من الشرق في ليل مظلم كأنها ريح عاصفة ، فلا تصل الى جيش النبي ٠٠ يكسر الجبل حدتها وطغيانها فيكون الجيش المسلم في دفء لا تزعجه ريح الصبا بينما قريش في المطرد الواسع تلفحها ريح الصفا لفحا قارصا في ليلة ادلهمت فأظلمت حتى أكفأت قدورهم وزعزعت نفوسهم وأطاحت أطنابهم فركبهم الفزع فولوا مدبرين ٠

هذه الخطة الاستراتيجية تتخذ الجبل سلعا مصعد الريح الصبا ٠٠ كان فيها التثبيت لرسول الله والافزاع للمشركين ويعني ذلك أن الموقع الاستراتيجي قد حقق أسمى الغايات ٠

ان هذا يفسر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « نصرت بالصبا وأغلقت عاد بالدبور » ٠ فالاشارة الى صبا ٠٠ ما هي الا الانتصار على الاحزاب كان سببه أن سلعا صعد الصبا ألا تؤذيه ٠٠

ليتني وقد كتبت هذا التعقيب قد وجدت خريطة توضح ذلك ولكنني بصدد السعي لايجاد هذه الخريطة أنشرها بعدد قادم ٠ ان لم أجد من أهلي في المدينة المنورة من يرسل هذه الخريطة لتنشر مع هذا التعقيب وسأحاول ذلك مع بعضهم ٠

والله ولي التوفيق ٠٠

محمد حسين زيدان

ايضاح وتقدير

وصلنا من الأستاذة السيدة / اصلاح سهيل ، المشرفة على الطالبات بجامعة الملك عبد العزيز ، بشأن موضوع « انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة » الذي نشر في العدد التذكاري ، وتقدير منها لكاتب المقال ، والجهد الذي بذله فيه ، وتطالب بالمزيد للتصدي لمناوئي الدعوة السلفية ، والكتب التي احتوت على افتراءات وأكاذيب ، وخاصة كتب المستشرقين ، والرد عليها .

و « الدارة » اذ تحيي المربية الفاضلة ، على حماستها وغيرتها على الدين الاسلامي ، وسعة أفقها ، تعدها بتحقيق رغبتها ما أمكن ، والله الموفق .

سيادة الاستاذ الفاضل / محمد حسين زيدان حفظه الله

رئيس تحرير مجلة « الدارة » بالرياض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

قرأت في العدد الثالث والرابع التذكاري الخامس لعام ١٣٩٦ مقالة قيمة من الكاتب الفاضل الاستاذ محمد كمال جمعة بعنوان « انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية » ، في الواقع هذا البحث جيد وقيم ونرجو استمراره مع أوسع تفاصيل لنشر هذه الدعوة الخالصة المؤمنة المخلصة لله ومع تقديري للكاتب الفاضل حفظه الله ، لي هناك بعض الايضاحات ، كما ورد في هذه المقالة ان العناصر القوية في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي محاربة الشعوذات والبدع "HETORODOXY" والغرافات "MYTHOLOGY" ومما لا شك فيه أنها كانت ركيزة فعالة حركية في دعوة الشيخ ولكن أيضا لا بد أن نفهم أن دعوة الشيخ من أهدافها الأساسية :

أولا : ليست فقط من تحرير الانسان من عبودية الأشجار والاحجار والشعوذات والسحر بل أيضا تحريره من عبودية الأنظمة الفاسدة المرتدة وعبودية البشر الى عبودية الواحد الأحد ·

ثانيا : ان محور الارتكاز للاصلاح في الاسلام هو الانسان نفسه وبدون اصلاح الانسان لا يستطيع أي نظام مهما كان مستواه تطبيقيا وعلميا وايديولوجيا أن يعلو ويعمل وينفذ وينمو وينهض حضاريا أو تكنولوجيا أو سلوكيا ·

ثالثا : ان الاسلام حركي فعال ، دين ايجابي يتخذ الحياة فريضة ومسئولية ومعركة لا سلبيات وتخريج شخصي وأفكار خيالية ·

رابعا : الاسلام يتناول الحياة كنظام كامل ينظر الى جميع الشئون كشأن واحد مترابط · لذلك ليس هناك أي تفريق أو تشتيت بين الدين والدنيا وبين القانون والسياسة وبين العقيدة والاقتصاد ·

منبثقا من هذه النقاط الأساسية لدعوة الشيخ ، التي طاردت الظلام في أرجاء العالم الاسلامي الذي عم آنذاك بغية تسلط الاستعمار في كافة أشكاله وأنواعه · وهذه وثيقة تاريخية أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ساعدت في اصلاح وتهذيب النفوس في الحركات الاسلامية من جانب ، ومن جانب آخر انبعثت منها الحركات التحررية ضد الاستعمار اللاديني الأباحي ·

ومع ذلك كان هناك ولا يزال تشويه كاذب عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من المستشرقين ، وهم في الواقع الذين زرعوا صورا مزيفة في كل مكان حتى عن الامام محمد بن سعود أيضا خصوصا المستشرقون أمثال :

W. GIFFORD PALGRAVE

J.B. PHILBY. DAUGHTY. D.G. HOGARTH.

W.C. SMITH. MARGOLIOUTH.

J.C. HUREWITZ. VON B. GRUENBUEM.

في الواقع قادوا أبحاثا ودراسات غير واقعية وكاذبة ومشوهة لا أمانة علمية ولا تاريخية فيها · حتى أنهم شوهوا تاريخ المملكة العربية السعودية

باسم الأكاديمية والدراسات التي أصبحت لعبة فكرية لدى الباحثين في الغرب والشرق · مثل « بات سولان » "PAT SOLAN" في كتابه « روسيا بدون أوهام » "RUSSIA WITHOUT ILLUSION" أيضا كتب أغلاط شنيعة عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب · ومجلات مثل

"THE MIDDLE EAST REVIN & THE MUSLIM WORLD"

كلها تعتمد على وثائق الدرجة الثالثة بدون أي أمانة علمية حتى ما يسمى "ENCYCLO PAEDIA'S" أيضا فيها أغلاط غريبة ومتناقضة ·

لذلك أناشد الباحثين والأكاديميين المسلمين التعاون مع مجلة «الدارة» لكشف وافتضاح هؤلاء المستشرقين وأسلوبهم وأبحاثهم المعادية للعلم والأمانة والتاريخ · الأكاديمية العلمية ليست جمع أكبر عدد من المراجع واظهار الكتابة المكثفة ، بل هي أولا وضوح الرؤية وثانيا أمانة وصدقا وثالثا معلومات من الدرجة الاولى لا من الدرجة الرابعة والخامسة بعد هذا كله يمكن التفسير والبحث والتدقيق وعرض وجهة النظر والتسجيل كما يشاؤون·

هناك بعض الكتب الحديثة التي ظهرت عن المملكة العربية السعودية وشئونها · ومع احترامي لوجهات نظرهم ، فان أسلوب البحث والمراجع والمعلومات أيضا فيها دس ولا علمية ولا أمانة ولا منطقية ، خصوصا كتاب مثل :

"MIDDLE EAST POLITICS MILITARY DIMENSION"

هي كتابة بدون قراءة وبحث بدون فهم وتفسير بدون معلومات حقيقية عن الجزيرة العربية بأكملها لا أمانة فيه اطلاقا ·

لذا نرجو من سيادتكم عبر مجلة « الدارة » افتضاح مثل هذه الكتب لأنه واجب علمي على « الدارة » ·

مع خالص تقديري واحترامي لشخصكم الكريم لجهودكم الموفقة ··

المخلصة

(السيدة / اصلاح سهيل)

المشرفة على الطالبات بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة